

ويقول أيضا: «أخبرني من لقيت من ولده . . أنه كان أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية(١)».

وقد مضى ملوك الموحديين على هذه الحال في تشجيع العلماء والشعراء، فازدهرت إشبيلية حاضرتهم، ونشطت المدارس الاقليمية في قرطبة وغرناطة ومالقة وبلنسية ومُرسيّة، وغنى هذا العصر بجمهرة من العلماء والأدباء والشعراء. ٢- ومن أسباب ازدهار الحياة الفكرية في عصر الموحدين، وقد يكون نتيجة من نتائج السبب الأول، إطلاق الموحدين لحرية الفكر، فلم يشهد عهدهم الطويل (٥٤١ - ٦٦٨هـ) ما حدث في عهد المرابطين من محاربة الفلسفة وكتب الأصول.

بيد أنه قد حدث في عهد أبي يوسف يعقوب، الخليفة الثالث، حادثان كبيران، لا يعطيان في الواقع صورة لاتجاه الدولة، أولهما: ما كان منه من محاربة الفلسفة واضطهاد الفلاسفة، وذلك بعد أن نقم على أبي الوليد بن رشد أمورا كان لدسائس القصر وللمنافسة أثر في تنميتها، ويصور المراكشي التحول الذي تم على عهد أبي يوسف بقوله: «وكتبت عنه الكتب إلى البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك هذه العلوم جملة واحدة، وإحراق كتب الفلسفة كلها، إلا ما كان من الطب والحساب(٢)». على أنه لم يطل أمد هذا الحجر، فقد عفا أبو يوسف عن أبي الوليد ابن رشد، واستدعاه وعفا عنه، وجنح إلى تعلم الفلسفة كما يقول المراكشي.

والحادث الثاني: هو دعوة أبي يوسف إلى الأخذ بالكتاب والسنة، وتبذ كتب مذهب مالك، وهو المذهب الغالب على أهل المغرب والأندلس، فأحرقت هذه الكتب. يقول المراكشي: «لقد شاهدت منها، وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها

(١) المعجب ٣٠٩.

(٢) ن . م . ٣٨٥.